

**المنهج الفيلولوجي ودراسة النص العربي " استعماله ونقده
" كريستوف لوكمبورغ Christoph Luxenberg من خلال كتابه
قراءة آرامية سريانية للقرآن مساهمة في تحليل اللغة القرآنية - Die syro-
Aramäische Lesart des Koran : Ein Beitrag zur
Entschlüsselung der Koransprache (نموذج)**

**المحاضرة الدكتوراة: ملمي بوقفة
مخبر الدراسات المعقّبة ومقارنة الأديان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية: قسنطينة**

المخلص:

حظي القرآن الكريم بوصفه الأثر الأهم في الإسلام بقدر كبير من اهتمام المستشرقين والمفكرين الغربيين والفيلولوجيين على السواء، حيث ركّزوا في البداية على محاولة فهم النص القرآني و ترجمته ودراسته كل لتحقيق هدفه، وأقيمت أولى لنبات هذه الدراسة على استكناه تاريخية هذا النص حسبهم ورصد تأثيراته في نشوء الحضارة الإسلامية، ولذلك عمل المستشرقون والفيلولوجيين، وعلى رأسهم المدرسة الألمانية، أولاً إلى إعادة ترتيب السور حسب التسلسل التاريخي الذي ارتأوه الأنسب، وصولاً إلى دراسة اللغات القديمة و مقارنتها لتحديد الصلة التاريخية بينهما وبين اللغة العربية، ولعل الفيلولوجي كريستوف لوكمبورج الذي يعرف نفسه على أنه عالم ألماني متخصص في اللغات السامية القديمة، واحداً من أبرز الفيلولوجيين الألمان الذين تناولوا القرآن الكريم بالدراسة بكتابه قراءة آرامية سريانية للقرآن مساهمة في تحليل اللغة القرآنية، والذي أثار نقاشات عديدة في ألمانيا وعموم أوروبا والعالم الإسلامي،

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

وكان منطلقاً للعديد من الدراسات حول اللغات السامية والأساطير الآرامية - المسيحية القديمة والأصول القرآنية، مثل أي كتاب يقدم وجهة نظر مختلفة عن السائد، ويغض النظر عن جدّيتها أو هشاشتها، فلوكسمبرغ ادعى أنه يفك "شيفرة القرآن" والمعنى الأصلي له، وفق منهج فيلولوجي تبناه في بناء فرضية أسماها بالقرآن الأصلي، وبناء على هذا سنحاول من خلال هذا البحث الإجابة عن إشكالية جوهرية: كيف استعمل الكاتب المنهج الفيلولوجي في دراسته للقرآن الكريم؟ على اعتبار أنه النص الديني المراد دراسته حسبه.

وللإجابة على مختلف الإشكاليات المعرفية التي يطرحها البحث، ارتأينا اتباع المنهج التحليلي، لتحليل مختلف الأفكار الواردة في الكتاب من منهج ودراسة ثم اتباع المنهج النقدي في نقد مختلف الأفكار التي جاء بها الكاتب.

الكلمات المفتاحية: المنهج الفيلولوجي، كريستوف ليكسمبورغ، النص الديني، القرآن...

Abstract:

Quran has attracted a great deal of attention from Orientalists and Western and philological thinkers because it represents the most important influence in the heritage of Islam. They focused initially on understanding the Qur'anic text and trying to translate it and study it each one for a goal. The first of the studies was based on its historic appreciation of this text on Islamic civilization, and therefore the orientalist, led by the German school rearrange the fence according to the historical sequence they saw the most appropriate. The philologist Christoph Luxemburg, who defines himself as a German scientist specializing in ancient Semitic languages, is one of the most prominent philologists who studied the Koran by reading a Syriac Aramaic reading of the Qur'an, contributing to the analysis of the Qur'anic language , Which has sparked many debates in Germany, Europe and the Muslim world, and has been the basis for many studies on Semitic languages and ancient Aramaic-Christian legends and Quranic origins, such as any book presenting a different view of the mainstream , And regardless of its seriousness or fragility, Luxembourg claimed to dismantle the "code of the Koran" and its original meaning, according to the methodology adopted by the Philological building a hypothesis called the original Koran, and on this we will try through this research to answer the fundamental problem of research: In his study of the Koran as a religious text to be studied according to him.

In order to answer the different cognitive problems presented by the research, we decided to follow the analytical method to analyze the various ideas contained in the book from the curriculum and study and then follow the critical method in criticizing the various ideas that the book came out in.

Keywords: philology, Christoph Luxembourg, religious text, Quran...

مقدمة:

تنوعت مناهج المستشرقين في دراسة القرآن الكريم بين الافتراضي، والروائي الانتقائي، والنفي، والمنهج الإسقاطي، وكان من أخطر هذه المناهج ما يُسمى بالمنهج الفيلولوجي الذي كان يُركز بحثه على دراسة النص القرآني في لغته وأسلوبه ومادته كونه يمثل في ذلك إجازة وبرهان صدقه أمام خصومه ومعانديه

بهذا كان موضوع البحث دراسة المنهج الفيلولوجي وتطبيقاته حول القرآن الكريم كريستوف لوكسمبورغ كإنموذج للدراسة:

ففي القرن التاسع عشر ازدهرت الحركة الاستشراقية بشكل عام، والدراسات الاستشراقية القرآنية بصورة خاصة، وبعد الصدمة التي شكلتها النتائج التي خرجت بها الدراسات الفيلولوجية التاريخية للكتاب المقدس -في الأوساط العلمية على وجه الخصوص- التي نفت عنها صفة القدسية، وأبطلت أن تكون بهذه الصورة وحياً إلهياً على الرغم من ذلك بقي أغلب المستشرقين على حالهم من التعصب الديني لليهودية والمسيحية، وسيطرة الدوافع النفسية على مصداقية أكثر دراساتهم. والذي يلاحظ أن الانتقال بالمنهجية الفيلولوجية من نقد الكتاب المقدس إلى دراسة القرآن الكريم لم تكن عامة عند جميع المستشرقين نظراً لصعوبتها، ثم لاستلزامها أن يجمع المستشرق في هذه المنهجية بين تخصصين أساسيين هما: التخصص في دراسات العهدين القديم والجديد، والتخصص في الدراسات القرآنية¹.

1- المنهج الفيلولوجي واستعماله في دراسة النص الديني:

1- تعريف المنهج:

أ- في اللغة:

نهج النون والهاء والجيم أصلاً متباينان:

1- محمد خلفية: دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين في ضوء علم نقد الكتاب المقدس، ، دط، دس، ص 5

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

1-الأول النهج أي الطريق، ونهج لي الأمر أي أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق أيضا وجمعه المناهج،

2-والآخر الانقطاع.¹

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَشِيرُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ».²

ب-في اللغة الإنجليزية:

تقابل كلمة المنهج في اللغة الإنجليزية كلمة Curriculum، التي تعود إلى أصل لاتيني، هو Currere، التي تعني مضمار السباق؛ أي: هي المسار الذي يسلكه الإنسان لتحقيق هدف ما.³

ت-في الاصطلاح:

يرد في قاموس لاروس الفرنسي أن المنهج هو:

1- مجموعة مبادئ وقواعد ومراحل منظمة منطقيا تشكل وسيلة لبلوغ نتيجة معينة.

2- طريقة تقنية لإنجاز فعل أو عمل أو نشاط معين.

3- مجموعة قواعد تسمح بتعلم تقنية معينة أو علم ما.⁴

الفيلولوجيا

يتكون مصطلح الفيلولوجيا من لفظين إغريقيين أحدهما Philos بمعنى الصديق، والثاني Logos بمعنى الخطبة أو الكلام ما يعني أن الفيلولوجيا تقوم على حب الكلام للتعلم في دراسته من حيث قواعده وأصوله وتاريخه.⁵

أمَّا في اللغات الأوربية فله عدة معان:

1- ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، دس، ج5، ص 361

2- المائدة 48

3- Oxford dictionary: Sally wehmeier university press 7th edition p 360.

4- Antoine Caron et des autres Dictionnaire La rousse 2011 p 682

5- صبحي الصالح: دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1970، ص20.

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

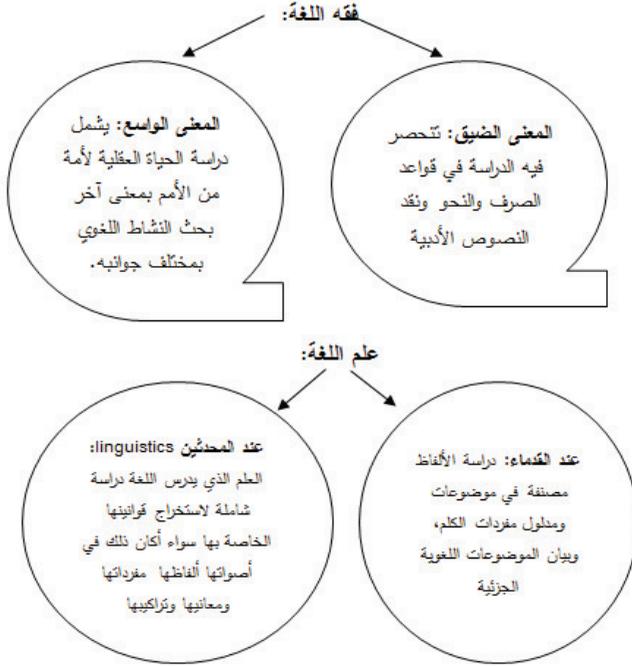
1- في اللغة الإنجليزية يعني الدراسات التاريخية المقارنة.
2- في اللغة الألمانية فإنه يستعمل عنوانا للدراسات العلمية المتعلقة بالنصوص الأدبية، ولا سيما تلك المتعلقة بالعالم الإغريقي الروماني القديم، ويستعمل فيها أيضا على نحو أكثر عمومية لدراسة الثقافة والحضارة من خلال الوثائق الأدبية.¹
وبالتالي فالفيلولوجيا – Philology تدرس التغيرات اللغوية عبر التاريخ.²
ويتوسع مفهوم الفيلولوجيا من دون تجريده من ارتباطه باللغات القديمة، أطلق هذا المصطلح على نوعين من أنواع النشاط والتحقيق العلمي هما:
أولاً: تحقيق النصوص القديمة اللاتينية واليونانية والمخطوطات والوثائق بغية نشرها والانتفاع منها في النشاط العلمي.

ثانياً: ضبط لغة من اللغات القديمة، وقوانينها الصوتية والصرفية والنحوية ولا شك أن قدم هذه اللغات ينسجم مع المعنى الأصلي للفظ فيلولوجيا، مع ارتباطه باللغات القديمة.³
من الملاحظات التي يجدر الإشارة إليها في هذه النقطة أن أصحاب الدراسات اللغوية الحديثة قد خلطوا بين المصطلحات فقه اللغة، وعلم اللغة والفيلولوجيا، في بحوثهم اللغوية ومؤلفاتهم، والسبب في ذلك أنهم لم يتفقوا على مدلول هذه المصطلحات بصورة علمية دقيقة وإنما اعتمدوا على معانيها العامة، إضافة إلى الخلط في ترجمة الفيلولوجيا بأنها فقه اللغة ويأتي الفرق فيما يلي:

1- عبد الصابور شاهين: في علم اللغة العام، ط3، بيروت 1980، ص 78.

2- Berube Margery: The American Heritage Dictionary 4 th Edition Houghton Mifflin Company New York, 2001 p 633 .

3- الطيب بكوش: في الكلمة في الحو العربي واللسانيات الحديثة، دط، مطبعة الدار البيضاء، المغرب 1986، ص 50.



أصول الفيلولوجيا وارتباطها بدراسة النص الديني:

يذهب بعض الباحثين إلى ربط ظهور الفيلولوجيا بالتأسيس للنهضة الأوروبية رابطين إياها بالنهضة الإنسانية، فيما يوغل بها آخرون إلى ما قبل الميلاد وكانت وظيفتها إحياء النصوص القديمة بمعاودة النظر فيها، وأهم المراحل المتداولة في الغرب هي كما يلي:

1- **حقبة ما قبل الميلاد:** يرجع بعض الباحثين الفيلولوجيا إلى القرن السادس قبل الميلاد حين عكف علماء اليونان، على تصحيح نصي الإلياذة والأوديسة لهوميروس وتفتيتها من الزوائد والتصحيح والتحريف، ثم استمرت في القرن الثاني قبل الميلاد بعد افتتاح مدرستين مشهورتين هما الإسكندرية، و برجاموم في آسيا الصغرى¹

1- ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي، دط، نس، ص 313

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

2- **حقبة ما بعد الميلاد:** ابتداء من القرن الثامن الميلادي شهدت أوروبا على عهد شارلمان، حركة علمية بارزة فيما عرف بعصر النهضة في أوروبا تجلت في تشجيع التعليم وتأسيس الجامعات والترجمة، من العربية إلى اللاتينية فظهر في هذه الحقبة منهجان لإحياء التراث هما:
أ- **المنهج الوثائقي:** ظهر منذ القرن الثالث عشر للميلاد، ويعتمد جمع الوثائق بطريقة عشوائية واعتنى في البداية بالكتاب المقدس، فجمع العلماء نسخة واعتمدوا على نسخة واحدة متوسلين بمعياري الذوق وجمال النسخة في غياب معيار علمي.

ب- **المنهج العلمي:** الذي كان ثمرة تطور الدراسات الفيلولوجية في أوروبا الغربية، وتجلى أثره أكثر في العصر الحديث بفعل ظهور حركة الاستشراق خاصة في اهتمامها بالتراث العربي¹.
3- **الحقبة الحديثة:** لم يتأسس لدى الغربيين تفكير نظري ولا منهج علمي لتصحيح الكتب ونشرها إلا في القرن التاسع عشر حين عرفت الفيلولوجيا تطوراً كبيراً خصوصاً في ألمانيا» من خلال جهود فيلولوجيين منهم: كارل لاخمان. الذي رقد الفيلولوجيا سنة 1851م بمعارف ومناهج ذات بال مثل: علم المخطوط وتاريخ النصوص، فقد لاحظ هذا العالم ومدركه أن التراث المخطوط لم يصل إلينا في نسخة الأصلية، بل وصل إلينا عن طريق شواهد ووسائط خضعت لألوان من التحريف والتصحيح، فأخذ على عاتقه استرجاع لا النسخ الأصلية بل الشواهد التي ضاعت مع الزمن والتي يمكن أن تهديه إلى شكل قريب من النص الأصلي.

هكذا بدأ البحث عن النسخة الأصل لاستهلال التحقيق على نسخ متعددة، ويكاد يتفق الباحثون على إضافات لاخمان في هذا الباب، فهو الأول الذي حاول أن يعيد بناء النصوص الضائعة، وذلك حسب موهبته الممتازة، ومعارفه الباليوغرافية والنقدية² هذا من الجانب الأدبي لكن وجب الإشارة هاهنا أنه في هذه الحقبة أيضاً جرى تحول في مسار تطبيق الفيلولوجيا من دراسة النصوص الأدبية الإغريقية اللاتينية القديمة -على وجه الخصوص- إلى دراسة الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وهذا ما قد يدفع بعض الباحثين للاستغراب، لكن الذي دفع لهذا التحول هو أن النظرة إلى الكتاب المقدس كانت على أساس أنه "نص أدبي؛ لاشتماله على ملاحم وأساليب أدبية عديدة فكان من

1- M Bravmann: Studies in Semitic Philology London 1977 p 457.

2- مصطفى الطويبي: مقالات في علم المخطوطات، دط، دس، ص 21

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

الطبيعي أن يلجأ اللاهوتي إلى المنهجين الفيلولوجي والتاريخي اللذين تميزت بهما دراسة الكتاب المقدس أو النقد التوراتي منذ القرن السابع عشر¹.

وهذه الطريقة كانت قد طُرحت من قبل فلهاوزن من خلال إبراهيم بن عزرا الذي وجد مجالاً مترامي الأطراف لاتجاهه النقدي في مجال نقد النص.

ولكونه من أفضل النحاة في العصر الوسيط ففي تصوره أن معرفة اللغة العبرية ونحوها هما حجر الأساس لعلم العهد القديم؛ لذلك أكثر في تقاسيره من البحث الفيلولوجي الضروري الذي ألقى الضوء على التفاسير العبرية²، تلقف سبينوزا فيما بعد نتائج ابن عزرا في نقد العهد القديم حيث حمل على التوراة محلاً أسفارها، ومبتئناً نصيب كل منها من الصحة التاريخية³.

ولأن النتائج التي خرجت بها دراسة فلهاوزن على النص التوراتي، ثم نقد الإنجيل بعد ذلك شكلت صدمة مدوية عبّر أحد الباحثين المعاصرين في هذا المجال قائلاً: "استخدم هؤلاء -يقصد الفيلولوجين- عاملي الأسلوب والأفكار اللاهوتية، وبدا جلياً أن هذه النظرية تشكك في صحة وحي التوراة، ولو صدقت لكان العهد القديم خدعة أدبية كبيرة"⁴.

4- الحقبّة المعاصرة:

أي منذ الحرب العالمية الثانية حتى اليوم، حيث استمرت حركة النشر الفيلولوجي للنصوص العربية من قبل الأوربيين، وإن تراجع في أواخر القرن العشرين، حيث عكف المحققون العرب على إخراج تراثهم ابتداء من النصف الأول من القرن العشرين، واطردت الجهود العربية بانحسار نظيرتها الأوروبية، ورغم ذلك استمرت هذه النشرات في إسبانيا وهولندا وفي ألمانيا⁵ ومثال ذلك ظهور دراسة فيلولوجية بعنوان (قراءة سريانية آرامية للقرآن مساهمة في تحليل اللغة القرآنية) لأحد علماء اللغات

1- محمد خليفة: المرجع السابق، ص25

2- زلمان شازار: تاريخ نقد العهد القديم من أقدم العصور حتى العصر الحديث، دس، ص72

3- المرجع نفسه، ص 129.

4- William Campell: The Quran and the Bible in the light of history and science p 44 .

5 -Utz, Richard: Philological Practices and Their Discontents from Nietzsche to Cerquigliani 2011 2nd edition p 450.

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

السامية القديمة في ألمانيا وهو (كريستوف لوكسمبورغ) متبني المنهج الفيلولوجي في بناء فرضية أسماها بـ (قرآن أصلي) وهو ما سنفصل فيه بعد التعريف بليكسمبورغ:

1- التعريف بكريستوف ليكسمبورغ ومختلف الانتقادات التي شككت في كونه هو فعلا كاتب وعالم ألماني.

1- التعريف به:

يعرّف لوكسمبورغ نفسه على أنه عالم ألماني متخصص في اللغات السامية القديمة، ويدرس في الجامعات الألمانية، من دون ذكر لاسم هذه الجامعات. ¹ عرف بكتابه هذا موضوع البحث وقد أثار به نقاشات عديدة في ألمانيا وعموم أوروبا وبعض العالم الإسلامي.

من الإشكالات التي تناولت حول الكاتب لا الكتاب: هل فعلا لوكسمبورغ ألماني متخصص

في اللغات السامية القديمة ولم اختار اسما مستعارا؟

أ- يربطه الكاتب اللبناني **محمد حجيري** بأسماء محددة عرفت بعدائيتها و تعصبها ضد القرآن الكريم كما يورد أسماء عديد الباحثين الآخرين الذين شككوا في الأمر نفسه فيذكر في مقال له: أن كل من مصطفى حجا وجوزف قزي، عرفا بأنهما يهاجمان أو ينتقدان الاسلام لغايات سياسية أو غرضية، قبل أن تكون معرفية أو علمية، وهما من افرازات العصبية والحرب الأهلية، التي بعد نهايتها اغتيل مصطفى حجا في شرق بيروت في 15 كانون الثاني 1992، وبانت كتبه شبه محجوبة ونادرة في المكتبات اللبنانية، واحتفلت عائلته قبل مدة في إعادة اصدار كتابه "الخميني يغتال زرادشت"، أما جوزف قزي (أو أبو موسى الحريري) فاخنتى، وقيل أنه يعيش في فرنسا، وخلال مرحلة تواجده هناك ظهر اسم كريستوف لوكسمبورغ (وهو اسم مستعار) صاحب كتاب "قراءة أرامية سريانية للقرآن" والذي وصفه المستشرق غيرهارد بروينغ بأنه مأخوذ عن كتب قزي.

أما الباحث اللبناني **رضوان السيد** فقد شك في كون لوكسمبورغ هو نفسه جوزف قزي، وهذا الأمر ليس مستغرباً، فهانس شيلر ناشر كتاب "قراءة أرامية سريانية للقرآن"، اعترف أن اسم المؤلف مستعار وهو مسيحي لبناني، وقد دفعه إلى ذلك الخوف على حياته من المتطرفين المسلمين الذين قد

1- The Koran As Philological Quarry A Conversation with Christoph Luxenberg.

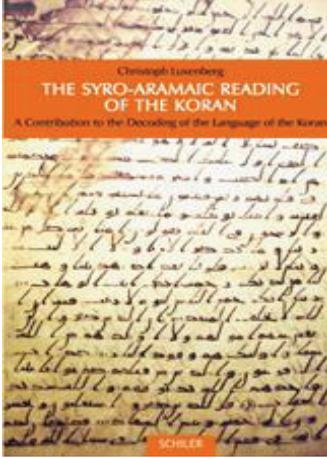
المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

يثيرهم ما ورد في الكتاب من نتائج تهدم إرثهم القديم عن القرآن. وبعض المصادر الخاصة، تعيد ان لوكسمبورغ هو في الواقع اسم "أدي" لكاتب سرياني - سوري¹

2- وصف الكتاب والتطرق إلى منهجية الكاتب فيه:

جاء في مقدمة الكتاب الصادر في العام 2000 للمستشرق الفيلولوجي الألماني كريستوف

لوكسمبورغ Die syro-aramäische Lesart des Koran: Ein Beitrag zur Entschlüsselung der Koransprache 2000 The Syro-Aramaic Reading of the Koran



وقد اعتمدت على النسخة الإنجليزية منه قائلاً فيها أنه سيعرض قراءة جديدة للمقاطع الغامضة الواردة في القرآن الكريم.

فحسبه أنه لما تعذر على أهل اللسان ايضاح ما غمض في لغة القرآن مع قوله بالنزول بلسان عربي مبين، وذهب المفسرون إلى أن هذا الغموض يعود إلى لغة قريش إلا أنه يرى أن السبب هو عدم معرفة اللغة السريانية² فالكاتب يقدم تلك الأطروحة مستعيناً بمراجع المنهج الفيلولوجي والأمثلة على تطبيقه وكان ذلك في ثمانية عشر باباً. وتغطي الأبواب، من أولها إلى عاشرها، خلفية ومنهج وتطبيق ذلك المنهج على فكِّ الغموض الذي يطوّق أصل

كلمة قرآن ومعناها، تلك الكلمة التي يرى فيها لوكسنبرغ مفتاحاً لفهم النصّ ككل.

أما الأبواب من الحادي عشر إلى الثامن عشر فهي تستخلص من النتائج المتحصّل عليها في النصف الأول لتناقش حلولاً ممكنة لعدة عبارات إشكالية وركّزت في النص. وهذه تتضمن مشكلات مفرداتية ونحوية وتركيبية تمثّل للمبادئ الأساسية المبطّنة للأغلاط العديدة الناجمة عن نقل القرآن الأبواب من 11 إلى 14، كما وتوسيع هذا المنهج للفحص عن المشكلات المولّدة لسوء فهم متكرّر

1- محمد حجيري: القرآن والأسماء الوهمية: من جوزف قزي الى لوكسمبورغ، السبت 02/05/2015

2- سورة ابراهيم 4

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

للمواد المطروحة في النص البابان 15 و16، ثم يطبق لوكسنبرغ استنتاجاته في تأويل سورتي الكوثر والعلق. ويتضمن الباب الثامن عشر موجزًا للعمل ككل.¹

مؤكدًا أن البحث الجديد إنما هو حول واقع اللغة، بالأخص لغة الكتابة في الشرق العربي في الفترة التي دُون فيها القرآن الكريم، هذه اللغة هي الآرامية² وقد نعتها الاغزيق منذ عصر ما قبل الميلاد بالسريانية نسبة إلى مملكة آشور في بلاد ما بين النهرين وسوريا الطبيعية، وتنتهي أقدم نقوش آرامية اكتشفت حتى الآن إلى القرن التاسع قبل الميلاد. وقد عُرف الآراميون الذين اعتنقوا النصرانية بالسريان تمييزًا عن أبناء أمتهم الوثنيين بحيث أضحى لقب الآرامي مرادفًا للوثني. وما رفع من شأن اللغة السريانية ترجمة الكتاب المقدس التوراة- والانجيل منذ القرن الثاني الميلادي وربما قبله إلى سريانية الرهي، وهي اللغة المحكية في منطقة الرهي وهي أورفا الحالية الواقعة في شمال غرب بلاد ما بين النهرين، ومع تتصر الملك أبحر الخامس، ملك الرهي في أواخر القرن الثاني الميلادي وانتشار النصرانية على يد السريان انطلاقًا من سوريا وبلاد ما بين النهرين أصبحت السريانية بفضل ذلك لغة الكتابة ليس في سوريا وبلاد ما بين النهرين فحسب بل تجاوزتها إلى مناطق مجاورة، منها بلاد فارس وشبه الجزيرة العربية. مما يبين لنا أهمية اللغة السريانية في العصر الذي نشأ فيه القرآن الكريم وما بعده فمن تاريخ الأدب العربي نجد أن للسريان حظًا وافرا في تطوير اللغة العربية بما أنجزوه من ترجمات من السريانية واليونانية إلى العربية في العصر العباسي، فأضحت اللغة العربية بعد السريانية لغة الآداب والفلسفة والعلوم، و المعروف أن الآرامية القديمة بدأ تدوينها بحسب النقوش المكتشفة منذ القرن التاسع قبل الميلاد و أن ملوك الفرس اتخذوها لغة دواوينهم واستعملوا الخط الآرامي لكتابة

1- ريتشارد بل: القرآن مترجمًا مع إعادة ترتيب نقدية للسور، ج 1 (دنبره، 1937)، ص 39

2- اللغة الآرامية: (ܐܪܡܝܐ) هي لغة سامية شرقية-أوسطية، انطلقت مع قيام الحضارة الآرامية في وسط سوريا وكانت لغة رسمية في بعض دول العالم القديم ولغة الحياة في الهلال الخصيب، كما تعد لغة مقدسة، انظر:

Barr, James: Which language did Jesus speak – some remarks of a Semitist Bulletin of the John Rylands Library p 26

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

الفارسية الوسطى البهلوية.¹ كما بنوا اسرائيل بعد سبيهم إلى بابل لغة لهم فدونوا بها جزء من كتبهم المقدسة منها كتاب النبي دانيال وتراجمها.

وليست السريانية إلا امتدادا للآرامية القديمة بطابعها المسيحي بعد الميلاد وباتت اللغة الرسمية إلى جانب العربية في العصر الأموي حتى عهد عبد الملك بن مروان 685-705م مما يبين الاتصال الوثيق الرابط بين العربية السريانية حتى عصر ما بعد الفتوحات.²

تأسيسا على هذه الخلفية التاريخية ينطلق لوكسمبورغ في بحثه اللغوي من عصر يسبق وضع قواعد اللغة العربية على يد سيويه المتوفي سنة 795م بحوالي مائة وخمسين عاما معتبرا أن اللسان العربي الذي أنزل به القرآن يختلف عن العربية التي وضع أسسها مجموعة من النحويين الأعاجم والعرب.

ويشكك المؤلف بكفاءة هؤلاء النحويين، وبالأخص الأعاجم منهم الذين يجهلون اللسان، الذي أنزل به القرآن الكريم، مستندا في ذلك إلى صاحب: جامع البيان عن تأويل القرآن أبو جعفر بن جرير الطبري.

1- يشير لوكسمبورغ إلى أن القرآن هو أول كتاب دون باللغة العربية لعدم وجود أي أثر تاريخي لمخطوط سابق ما خلا بعض النقوش النبطية القريبة من العربية. وكان الخط العربي في بداياته كنظيره النبطي مجردا من النقاط والحركات يشهد على ذلك العديد من المخطوطات القرآنية وغيرها المحفوظة في المتاحف شرقا وغربا، وأخرها تلك التي اكتشفت في أوائل السبعينات تحت سقف جامع صنعاء الكبير وهناك إجماع على أن النقاط المميزة لاثنتين وعشرين حرفا من حروف الأبجدية العربية قد أضيفت إلى النص القرآني في وقت لاحق، إلا أن هناك غموضا حول الزمن الذي تم فيه التتقيط.

2- يؤكد المؤلف أنه وضع جانبا كل النظريات السابقة الصادرة عن مستشرقين أو عرب في محاولاتهم العديدة لتفسير القرآن انطلاقا من عربية سيويه وما بعده التي ليست بعربية القرآن، مستندا فقط إلى علم اللسان الذي يقضي بقراءة النص وفهمه في إطاره الزمني مجردا من المؤثرات اللاحقة. لأن المفسرين اعتمدوا على النقل الشفهي اللاحق دون المبالاة باللغة طبقا لإطارها التاريخي، وقعوا

1- Christoph Luxenberg: The Syro-Aramaic Reading of the Koran Contribution to the Decoding of the Quranic Language London 2000 p 09

2- Ibid p 10

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

في الخطأ ونتج عن ذلك ما يعرف ب المقاطع الغامضة في القرآن مؤكدا أنه توجد حتى نصوص مشكوك في صحة فهمها العربي لهذا اعتمد المنهج الفيلولوجي وفق خطوات خمسة يمكن إدراجها كما يلي:

أ- يراجع لوكسمبورغ في خطوة أولى تفسير الطبري تقديرا منه بأن التقليد الإسلامي ربما احتفظ بالشرح الصحيح دون أن يأبه المفسرون داعما ذلك بالأدلة اللغوية، وإلا فيلجأ في خطوة ثانية إلى موسوعة لسان العرب لابن منظور ربما يعثر فيه على الشرح المناسب سيما وأن الطبري حسبه لم يرجع في تفسيره إلى أي قاموس.

ب- فإن لم يكن ذلك عمد لوكسمبورغ إلى قراءة الرسم القرآني دون أي تغيير قراءة سريانية أعطت النص في عدد من الحالات معناه المنطقي.

ت- وإن لم يكن ذلك باشر لوكسمبورغ في محاولة أولى بتغيير نقاط الحروف التي ربما وضعت عن عدم إمام المحقق العربي بمفهوم نص القرآن في قراءته العربية. وقد أدت هذه الخطوة في حالات غير قليلة إلى نتائج إيجابية حسبه.¹

ث- وإن لم يكن ذلك شرع الباحث في محاولة ثانية بتغيير نقاط الحروف بهدف إيجاد مصدر لقراءة سريانية، وقد أدت هذه المحاولة في حالات عديدة إلى قراءة تعيد للنص معناه الحقيقي.

ج- وإن فشلت جميع هذه المحاولات وكان التعبير كتابة وقراءة عربيا لا شك فيه وإنما دون أن يعطي معنى مناسباً للنص لجأ الباحث حينذاك إلى محاولة قصوى تكمن في ترجمة التعبير العربي إلى السريانية لاقتباس مفهوم هذا التعبير من معاني مرادفه السرياني. و قد بين البحث بأن هذه الخطوة تتجاوز الخطوات الأربع السابقة أهمية، إذ كثيرا ما يعطي مفهوم التعبير السرياني النص القرآني العربي الغامض معناه المنطقي الجلي.²

3- استنتاجات المؤلف:

1- كلمة قرآن مشتقة من "قريانا" (بكسر القاف) وهو تعبير سرياني من الطقسيات أو الليتورجيا liturgy السريانية والذي يعني كتاب الفصول lectionary، كتاب القراءات الطقسية.

1- Christoph Luxenberg: The Syro-Aramaic Reading of the Koran: a Contribution to the Decoding of the Quranic Language p 22 .

2-Ibid p 23

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

وبالتالي فالقرآن يعتبر كتاب فصول آرامي سوري، يحتوي على تراتيل واقتباسات من الكتاب المقدس، كتب لاستعماله في الطقوس المسيحية، وقد ترجم إلى العربية كمجهود إرسالي، ولم يكن المقصود منه بدء ديانة جديدة، ولكن نشر ديانة أخرى قديمة.¹

2- اعتبار العربية القرآنية خليطاً من اللغة العربية و الأرامية، حيث أراد كاتب القرآن أيضاً جعله وفق لغة مكتوبة مشتركة ومفهومة وذلك لتكون حسبه في متناول أكبر عدد ممكن من الناس فلم تقتصر على الأرامية فقط بل استكملت وشملت كلمات مقترضة أخرى على سبيل المثال، الفارسية أو اليونانية، و مع ذلك، فإن هذه المقترضات لا تظهر إلا في حالات نادرة في القرآن، في حين أن الاختلاط بالعناصر العربية والأرامية شكل لغته بشكل حاسم.²

3- أن القرآن الكريم ليس مكتوباً بالعربية بل بلغة مزيج تجمع العربية و الأرامية التي كانت مستعملة في مكة في زمان محمد صلى الله عليه وسلم، وكانت مكة في الأصل مستوطنة آرامية ويؤكد هذا الشيء أن اسم مكة حسب لوكسمبورغ في أصله آرامي، بمعنى منخفض وقد تم تدوين تلك اللغة المزيج من البداية في مخطوطات مجردة.³

4- دعواه بأن أجزاء كبيرة من القرآن ليست عربية صحيحة نحويًا وإنما تحتاج لأن نقرأها قراءة آرامية بما يعني النهايات الإعرابية وما إلى ذلك وبالتالي لا يكون القرآن نصاً عربياً نحويًا، ذا كلمات دخيلة آرامياً بل هو مؤلف بلغة اصطلاحية تمزج بين العناصر التركيبية للغتين مختلفتين.⁴

1-Jim Quilty and Daily Star staff: Giving the Koran a history: Holy Book under scrutiny Critical readings of the Muslim scripture offer alternative interpretations of well-known passages July 12, 2003.

2 -Christoph Luxenberg: The Koran As Philological Quarry A Conversation with Christoph Luxenberg p 76.

3- Ibid p 44

4- Ibid p 85

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

5- إضافة علامات التشكيل والنقط للنص القرآني كان عشوائيا بما أن الأجيال اللاحقة المتأخرة من المسلمين لم تستطع فهم الاصطلاحات العربية الآرامية في كتابهم المقدس، مخترعين بذلك حسبها تقليدا شفويا مزعوما لتبرير تلك القراءة الجديدة.¹

6- في تحليل العديد الآيات وفق منهج فيلولوجي مقارنة بين اللغتين السريانية والعربية يرى لوكسمبورغ بأن أهل التفسير شرقا وغربا قد أخطأوا في فهم التعابير القرآنية اعتمادا على عربية ما بعد سيبويه وبالتالي فتفنيده لعربية القرآن لم يقتصر على عربية الصحابة فقط وإنما عربية النحويين أيضا.
7- أراد اثبات بصورة أو بأخرى أن القرآن الكريم انما هو هرطقة مسيحية بالدرجة الأولى أو مأخوذ من الآداب السريانية وأن قصص القرآن الكريم إن لم نقل كلها مأخوذة من قصص التوراة والانجيل ويورد عديد الأمثلة في كتابه كسورتي الكوثر التي ربطها برسالة بطرس الأولى الإصحاح الخامس وسورة العلق وربطها بالأدب السرياني القديم وعديد الأمثلة الأخرى.²

4- ردود الفعل على لوكسنبرغ ونقده:

اختلفت ردود الأفعال حول الكتاب والكااتب على حد سواء بصدوره أثرت الضجة وبموضوعاته أثرت البحوث والدراسات وحتى خلايا العمل والمننديات فكان التمايز بين التأييد والمعارضة:
1- أقام الألماني فيسنشافتسكولغ في برلين عم 2004 مؤتمراً يركز على نظرية لوكسنبرغ وشكل خلية عمل عالمية للاستمرار في مناقشة الموضوع وكانت الكثير من المناقشات في المؤتمر ناقدة للوكسمبورغ، كما أقر بعض المختصين أن عمل لوكسنبرغ هو قيم فقط من ناحية أنه ركز الانتباه على النقص في الدراسات القرآنية المعاصرة، ومن مصادر هذا النقص عدم وجود قاموس للغات السامية يبين أصل الكلمات اللغوي ويوافق المقاييس العصرية الأشد تشدداً.³

1 -Christoph Luxenberg : The Syro-Aramaic Reading of the Koran: a Contribution to the Decoding of the Quranic Language London 2000 p 96

2- Ibid p 26

3- Visnashavskolg: Le Coran autre lecture autre traduction p 62.

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده "... ط.د- سلمى بوقفة

2- مؤتمر آخر أقيم عام 2005 في جامعة نوتردام بعنوان (نحو قراءة جديدة للقرآن) جمع عدداً من الذين أبدوا قبولاً لأسلوب لوكسنبرغ.¹

3- وصف ريتشارد كروس Richard Kroes لوكسنبرغ بأن عمله يدل على جهله بأدبيات الموضوع وأن ما يفعله لوكسنبرغ إنما هو بدافع تبريري مسيحي.

4- فرانسوا دي بلو François de Blois أشار إلى كم الأخطاء النحوية الكبير في عمل لوكسنبرغ وإلى محدودية معرفته باللغة السريانية ووصف عمله بأنه عمل هاو وليس عملاً علمياً.

5- قدم وليد صالح من جامعة تورنتو الكثير من النقاط التي تقند فرضيات لوكسنبرغ

ك	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	ظ	ع	ف	ق	ك	خ
kap	yodh	téith	héith	záyn	waw	hé	dalâth	gamâl	béith	alâp				
k, k/kh	y	t	h	z	w	h	d, d/dh	g, g/gh	b, b/bh	'				
[k, x]	[j]	[t]	[h]	[z]	[w]	[h]	[d, ð]	[g, ɣ]	[b, v]	[ʔ]				
20	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1				
ل	م	ن	هـ	و	ز	ح	ط	ظ	ع	ف	ق	ك	خ	
lamâdh	meem	nun	simkâth	'ain	pé	šadhé	qop	résh	sheen	taw				
l	m	n	s	'	p, p/ph	š	q	r	sh	t, t/th				
[l]	[m]	[n]	[s]	[ʔ]	[p, f]	[š]	[q]	[r]	[ʃ]	[t]				
30	40	50	60	70	80	90	100	200	300	400				

يرى لوكسنبرغ أن النقطتين التشكيليتين ل د هـ في السريانية قد تكون بمثابة أساس للأبجدية

العربية.²

أما في الأبجدية السريانية، لا يوجد سوى حرفين يمتلكان نقاطاً ل د هـ بالمقارنة تحتوي الأبجدية العربية على ما مجموعه خمسة عشر حرفاً منقطاً: ب ، ت ، ث ، ج ، خ ، ذ ، ز ، ش ، ض ، ظ ، غ ، ف ، ق ، ن ، هـ .

1- H. M. Versteegh: Arabic Grammar And Qur'anic Exegesis In Early Islam, 1993, E. J. Brill: Leiden, New York, Köln, p. 31-32

2- Mingana Lewis: Leaves From Three Ancient Qur'ans possibly Pre-Othman with a List of Their Variants, 1914, Cambridge: At the University Press, p xxxi.

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

يصح تخيل أن العرب قد استعاروا نقاطهم المتعددة من السريانية اقتراحاً صعباً. علاوة على ذلك، توجد أدلة قبل الإسلام واضحة على استخدام النقاط التشكيلية، على سبيل المثال، نقش رقوش 267 م يحتوي على نقاط إشكالية على الحروف د، ش و ر؛ يحتوي نقش جبل رم القرن الرابع الميلادي على نقاط خاصة بالحروف ج، ي و ن؛ ونقش فضولي من سكاكا يحتوي على نقاط مرتبطة بالحروف العربية ب، ت و ن. في وقت ظهور الإسلام، تُظهر أوراق البردي الأقدم مؤرخة رقم 22 558 هـ / 642 م العديد من النقاط التشكيلية على الحروف ج، خ، ذ، ز، ش و ن.¹

6- الفرضية الأساسية لكتاب لوكسنبرغ، أن القرآن كتب بلغة آرامية هجينة عربية، ويستعير -من كتابات آرامية مسيحية، و من أجل توثيق فكرته الكبيرة عن القرآن باعتباره وثيقة عربية آرامية تستند إلى نصوص آرامية مسيحية، وقد أدى ذلك إلى ادعائه أنه يتعارض مع الحقائق الراسخة فالسريانية لم تكن لغة التواصل المكتوب فقط، بل كانت أيضاً اللغة المشتركة لتلك المنطقة من غرب آسيا، لكن على العكس من ذلك، كانت اللغة العربية أكثر انتشاراً في الشرق الأوسط قبل الإسلام، ولدينا أدلة كافية على ذلك في شكل نقوش السابقة الذكر²

7- يذكر D. Hunter أن الانتشار الجغرافي للنقوش العربية ما قبل الإسلام ينتشر من معقل اللغة السريانية في الشمال إلى مدائن صالح في الجنوب ومن أبو دراج (مصر) في الغرب إلى سكاكا في الشرق حيث كانت اللغة الأرامية السورية أو السريانية هي اللغة التي يقول لوكسنبرغ إن القرآن قد كُتِب عليها جزئياً، ولا نجد انتشاراً لها في مكة وضواحيها البتة كما أن الجزء الأكبر من النقوش السريانية قبل الإسلام محصور في منطقة الرها في جنوب تركيا الحديث، إنها بالتأكيد طريق طويل من منطقة الحجاز وخاصة مكة المكرمة.³

8- لم تكن الأرامية منتشرة على نطاق واسع في أواخر القرن السادس الميلادي على عكس ما ادعى لوكسنبرغ.

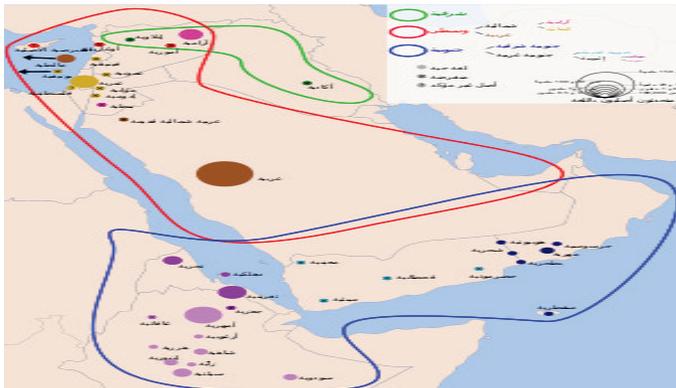
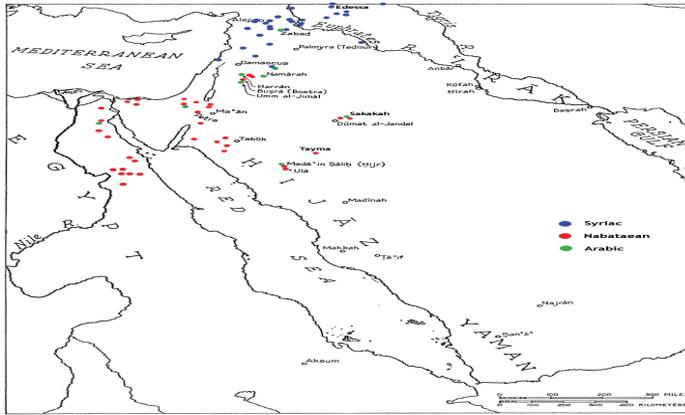
1-The Vocalization Systems Of Arabic, Hebrew, And Aramaic: Their Phonetic And Phonemic Principles, 1962, Mouton & Co.: Gravenhage, p 46

2- Zayden: The Pantheon Of The Nabataean Inscriptions In Egypt And The Sinai, Aram, 1990, V 2 p 151

3- D. Hunter :A Syriac Ostracon From Ctesiphon 1997 V 18 p 366.

المنهج الفيلولوجي ودراسة النص الديني " استعماله ونقده " ... ط.د- سلمى بوقفة

9- بعد أن فتح الإسكندر الشرق تؤكد مختلف الخرائط اللغوية وحتى التاريخية التي تم تحديدها من قبل خبراء وباحثين أن السريانية حلت اليونانية محلها في العديد من المناطق باعتبارها لغة الساسة ولغة الثقافة والحضارة للشرق الأوسط، و بحلول الوقت الذي وصل فيه الإسلام إلى الساحة العالمية، أصبحت اللغة اليونانية هي اللغة السائدة في غرب آسيا، فكيف يمكن الأخذ والاقتراب من لغة لم تكن معروفة أو حتى درجة في الساحة أصلا آنذاك.



خاتمة:

ختاماً نخرج بجملة من النتائج يمكن إدراجها كما يلي:

1. يعود استعمال الفيلولوجيا بصورة واسعة إلى الحركة العلمية التي بدأت على يد فريدريك أوغست وولف عام 1777م، والتي استمرت حتى مطلع القرن العشرين.
2. خلطت الدراسات الحديثة بين مصطلحات فقه اللغة وعلم اللغة والفيلولوجيا، فكل مصطلح لا بد أن يدرج في سياقه اللغوي و المصطلحاتي وحتى التاريخي.
3. عمل المستشرقون والفيلولوجيين، وعلى رأسهم المدرسة الألمانية، إلى إعادة ترتيب السور حسب التسلسل التاريخي، وصولاً إلى دراسة اللغات القديمة و مقارنتها لتحديد الصلة التاريخية بينهما وبين اللغة العربية.
4. يعرّف كريستوف لوكسمبورج نفسه أنه عالمٌ ألماني متخصص في اللغات السامية القديمة،
5. يعد واحداً من أبرز الفيلولوجيين الألمان الذين تناولوا القرآن الكريم بالدراسة بكتابه قراءة آرامية سريانية للقرآن مساهمة في تحليل اللغة القرآنية، والذي أثار نقاشات عديدة في ألمانيا وعموم أوروبا و العالم الإسلامي.
6. كتابه كان منطلقاً للعديد من الدراسات حول اللغات السامية والأساطير الآرامية - المسيحية القديمة و الأصول القرآنية.
7. ادعى أنه يفك "شيفرة القرآن" والمعنى الأصلي له، وفق منهج فيلولوجي تبناه في بناء فرضية أسماها بالقرآن الأصلي
8. يشير لوكسمبورج إلى أن القرآن هو أول كتاب دون باللغة العربية لعدم وجود أي أثر تاريخي لمخطوط سابق
9. اعتبر العربية القرآنية خليطاً من اللغة العربية و الآرامية.
10. ادعى بأن أجزاء كبيرة من القرآن ليست عربية صحيحة نحويًا وإنما تحتاج لأن نقرأها قراءة آرامية بما يعني النهايات الإعرابية وما إلى ذلك وبالتالي لا يكون القرآن نصاً عربياً نحويًا
11. اختلفت ردود الأفعال حول الكتاب والكتاب على حد سواء بصوره أثرت الضجة وبموضوعاته أثرت البحوث والدراسات وحتى خلايا العمل والمنشآت فكان التمايز بين التأييد والمعارضة.